شهر على "حرب غزة".. دمار شامل وأزمة إنسانية غير مسبوقة (تقرير)

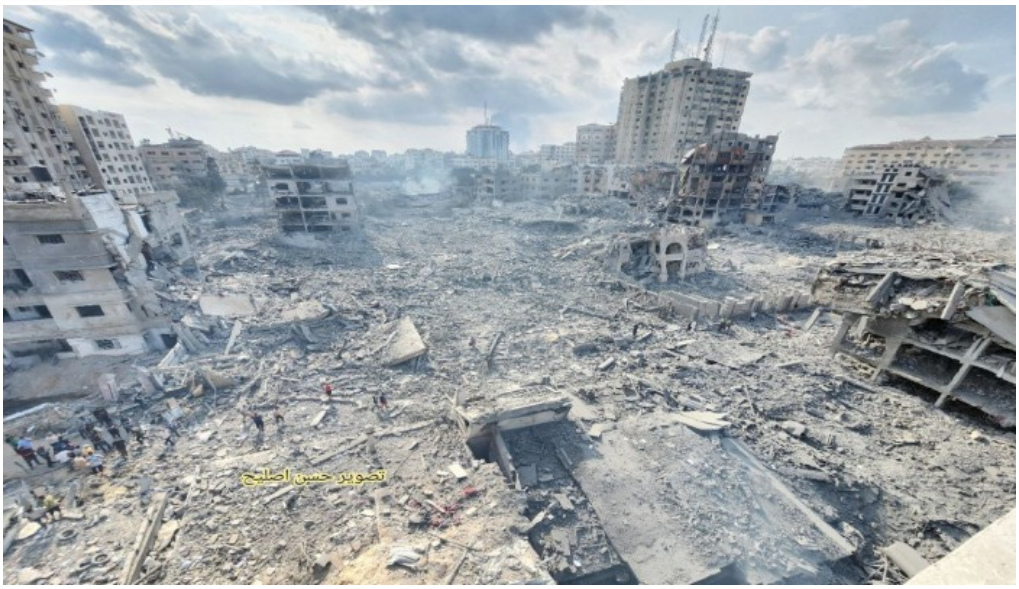

الاثنين 6 نوفمبر 2023 07:30 م

أسفرت الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة خلال شهر كامل، والمستمرة من يوم 7 أكتوبر الماضي، عن دمار شامل في كافة أرجاء القطاع، وانتشار الخراب والهدم في كل شارع ومخيم، وخيّم على سماء غزة غبار متصاعد بشكل الدخان، وعرق ممزوج بأنهار الدم، وقصف مصبوغ بلون النيران، إضافة إلى تسببها في أزمة إنسانية غير مسبوقة.

مئات الشهداء كل يوم، وعشرات المذابح والمجازر الإسرائيلية اليومية، جنازات لا تتوقف، دماء لا تجف، جرحي بالآلاف، لا ماء يشرب، ولا طعام يؤكل، ولا خبز يباع، ولا دواء للمصابين، ولا علاج للجرحى، ولا أمن في المدارس أو المناطق الآمنة.

ونشرت "وكالة الأناضول" تقارير متنوعة تتناول الحياة في غزة بعد أن تحولت إلى جحيم لا يُطاق، وخوف لا يُوصف، ومرض لا يُحتمل، وشهداء بالآلاف، ومصابين بعدد يفوق الوصف.

وبعد ثلاثين يوما من الحرب المتواصلة منذ 7 أكتوبر الماضي، أصبحت النجاة من قصف قريب أمرًا اعتياديًا لا يثير اهتمام أحد، فالجميع تعرض لموقف مشابه.

أما القصص الأكثر إثارة في أحاديث المساء، فتتمحور حول طريقة الحصول على ربطة خبز أو قارورة مياه صالحة للشرب أو ابتكار طريقة جديدة لصنع الخبز دون غاز أو كهرباء.

أما سهرات الفلسطينيين في غزة، فلم تعد كما كانت قبل الحرب، فهذه الأيام تبدأ ساعات السمر عصرًا، لأنه مع غروب الشمس يعود الجميع إلى ما تبقى من منازلهم، فإسرائيل تستهدف في الغالب أي حركة أو تجمعات بالطرقات ترصدها الطائرات الإسرائيلية خلال الليل.

كما أن النوم مبكرًا ليس رفاهية في غزة، بل محاولة للحصول على ساعات متفرقة من النوم، فكل عدة دقائق هناك غارات "تكاد توقظ الأموات"، كما يردد الفلسطينيون.

أرقام تتصاعد

ومن جهة أخرى، أعلنت وزارة الصحة الفلسطينية في غزة، اليوم الثلاثاء، "ارتفاع حصيلة ضحايا الغارات الإسرائيلية على القطاع منذ 7 أكتوبر الماضي إلى 10328 شهيدا ونحو 27 ألف مصاب، بالإضافة إلى أكثر من 2800 شخص لا يزالون تحت الأنقاض "10 آلاف و22 شهيدًا، وأكثر من 25 ألف مصاب".

وأشارت الوزارة إلى تلقيها 2350 بلاغًا عن مفقودين تحت الأنقاض، منهم 1300 طفلًا ، منذ بدء العدوان على غزة، بالإضافة إلى استشهاد 192 من الكوادر الصحية، وتدمير 32 سيارة إسعاف وخروجها عن الخدمة جراء العدوان الإسرائيلي.

وذكر أشرف القدرة المتحدث باسم وزارة الصحة إلى أن "الاحتلال استهداف أكثر من 113 مؤسسة صحية، ما أدى إلى خروج 16 مستشفى و32 مركزًا للرعاية الأولية من الخدمة بسبب الاستهداف الإسرائيلي ونفاد الوقود".

وأضاف: "إجمالي الاستهداف على مستشفى العيون والرنتيسي والطب النفسي خلال الساعات الماضية 8 شهداء و125 إصابة بين الأطفال والمرضى والطواقم الطبية والنازحين".

واتهم القدرة إسرائيل بأنها "تعمّدت استهداف خزانات المياه والطاقة الشمسية في مستشفى الرنتيسي، وتعرّض حياة نحو 7 آلاف مريض وطاقم طبي ونازحين داخل المستشفى للموت عطشًا".

وأكد أنه "لا توجد ممرات آمنة في قطاع غزة وهي كذبة، والاحتلال يستخدمها للانقضاض على أبناء شعبنا".

وبحسب القدرة "هناك مئات الضحايا ممن أجبرهم الاحتلال على النزوح من شمال غزة لجنوبه، وهناك عدد كبير من الضحايا وجثث الشهداء على الأرض، ولا تستطيع سيارات الإسعاف انتشالهم حتى اللحظة".

وأوضح أن "المنظومة الصحية المنهارة باتت عاجزة تمامًا عن إنقاذ حياة الجرحى والمرضى، بسبب الاستهداف المباشر للمستشفيات وسيارات الإسعاف وعدم دخول الإمدادات الطبية والوقود وخاصة منطقة غزة وشمال غزة".

ومنذ اندلاع الحرب في 7 أكتوبر الماضي، تقطع إسرائيل إمدادات الماء والغذاء والأدوية والكهرباء والوقود عن سكان غزة، وهم نحو 2.3 مليون فلسطيني يعانون بالأساس من أوضاع متدهورة للغاية؛ جراء حصار إسرائيلي متواصل منذ أن فازت "حماس" بالانتخابات التشريعية في 2006.

دمار واسع

المنازل التي دمرت على رؤوس الصحفيين وعائلاتهم وآلاف الفلسطينيين بالقطاع بلغ عددها نحو 220 ألف منزل، تضم 40 ألف وحدة سكنية باتت غير صالحة للسكن، وهو رقم يمثل نحو 60 بالمئة من إجمالي الوحدات بالقطاع.

هذه البيانات الصادرة عن حكومة غزة تحدثت أيضاً عن أن "القصف الإسرائيلي أوقع أضراراً كبيرة في 88 مقراً حكومياً خلال أيام الحرب".

وهذا ليس كل شيء، فوفق تصريحات سلامة معروف، رئيس المكتب الإعلامي الحكومي بغزة للأناضول، قال إن "الاحتلال الاسرائيلي دمر بشكل كلي 55 مسجدًا، إضافة إلى تضرر 112 مسجدًا بشكل جزئي.

كنيسة القديس برفيريوس ثالث، أقدم كنيسة بالعالم، تعرضت للقصف أيضًا، كما دمرت وتضررت كنيستان أيضًا، بحسب معروف.

ونالت المدارس نصيبها من القصف أيضا بعدد 220 مدرسة، منها 38 تم تدميرها كليًا، حسب بيانات "الإعلامي الحكومي".

وتعرضت 42 منشأة تابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا) للتدمير، بما في ذلك أماكن لجأ إليها النازحون من المناطق المدمرة.

تدهور الوضع الصحي

الدمار جزء بسيط من المعاناة الإنسانية في القطاع، حيث أوقف 55 بالمئة من شركاء القطاع الصحي عملياتهم جراء الأضرار الكبيرة في البنية التحتية، ما أجبر المستشفيات على العمل بأقل من ثلث الاحتياج اللازم لعلاج العدد الكبير من الجرحى، بحسب بيان لوزارة الصحة بغزة، الأحد.

ولفتت الوزارة إلى "احتمال توقف حاضنات حديثي الولادة، لافتة إلى وجود 350 ألف مريض من المصابين بالأمراض غير المعدية، و1000 مريض بحاجة إلى غسيل الكلى، حيث إن 80 بالمئة من آلات الغسيل موجودة في مشافي شمال غزة".

وفي تصريح للأناضول، قال نائب مدير الرعاية الصحية الفلسطينية رامي العبادلة، إن "تناول الفلسطينيين بالقطاع للمياه الملوثة يزيد من فرص انتشار الأوبئة".

وأضاف العبادلة: "المياه مقطوعة بشكل تام والجيش الإسرائيلي قطع 3 خطوط مياه كان يمد بها قطاع غزة".

وتابع: "يتم رصد حوالي 1000 حالة يوميًا ما بين الإسهال والجدري والتهابات الجهاز التنفسي والتسمم"، مشيرًا إلى أنه سابقًا كان يتم تسجيل 1000 حالة خلال 6 أشهر.

ولفت إلى أن "بعض اللقاحات متوفرة، ولكن الهجرة الجماعية وعدم مأمونية الحركة جعلت نسبة المترددين على التطعيم قليلة جدًا، بسبب الخوف من التردد على المراكز الصحية لتطعيم الأطفال".

النازحون

كل هذه الظروف أجبرت نحو 1.5 مليون فلسطيني بغزة على النزوح داخليًا بينهم 117 ألف نازح يقيمون في مرافق صحية ونحو 69 ألفًا 400 يقيمون في 149 ملجأ طوارئ تابع لوكالة الأونروا، وفق بيانات حكومية

ويعاني 15 بالمئة من النازحين قسرًا من إعاقات مختلفة، كما أن معظم مراكز الإيواء غير مجهزة لتلبية احتياجاتهم

الوضع الإنساني

اللجنة الدولية للصليب الأحمر، قالت في بيان الأحد، إن الوضع الإنساني في قطاع غزة "كارثي ويزداد سوءا كل لحظة".

وأضافت أن "المدنيين في قطاع غزة يتحملون التكلفة الإنسانية الباهظة خاصة النساء والأطفال".

وفي وصفها لما يجري بالقطاع: "ما نراه في غزة لم نشهده منذ تواجدنا الدائم بالعام 1967، التدمير طال البنى التحتية للمياه والمياه العادمة، حيث خرج معظمها عن الخدمة مما ينبئ بكارثة بيئية".

وذكرت اللجنة الدولية أن "الحصول على نقطة ماء نظيفة للشرب، أو رغيف خبز في غزة، رحلة محفوفة بالمخاطر وتستمر لساعات".

ووفق اللجنة الدولية للصليب الأحمر: "تشتت شمل العائلات، حيث توزع الأمهات أبناءها على مراكز النزوح لتزيد من فرصة نجاتهم".

وحذرت اللجنة من أن "مستشفيات غزة على حافة الانهيار التام، والأطباء منهكون وهناك شح بالمستلزمات الطبية والوقود".

وأشارت إلى أن "العمليات الجراحية تتم دون مخدر، وتتم في طرقات المستشفيات بسبب العدد الكبير من المصابين".

ودعت اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى "حماية المستشفيات والأطقم الطبية وسيارات الإسعاف"، مؤكدة أن "المستشفيات يجب أن تكون أماكن لإنقاذ الحياة وملاذًا آمنًا لمن نزح إليها، ولا يجب أن تتحول إلى ساحات دمار وموت".

وشددت على "ضرورة حماية من قرر طوعًا البقاء في منزله، وعلى الأطراف احترام وتجنب الخسائر بين صفوف المدنيين".

العمليات العسكرية

وعلى الصعيد العسكري، فبعد تقدم متواصل للآليات العسكرية الإسرائيلية داخل أراضي قطاع غزة على مدى الأيام الماضية، عادت السبت للتراجع في أحد أهم محاور التوغل شمال غرب القطاع لمسافة 2 كيلو متر

وفي المقابل، تقدمت الدبابات الإسرائيلية في محور الجنوب بحي الزيتون وأطراف حي تل الهوى باتجاه الغرب وصولا لشارع "الرشيد" على شاطئ البحر

ويأتي ذلك وسط مواجهات عنيفة مع مقاتلي الفصائل الفلسطينية المسلحة؛ أسفرت عن سقوط قتلى وجرحى في صفوف الجيش الإسرائيلي

متحدث "كتائب القسام" أبو عبيدة، قال في كلمة مسجلة، مساء السبت، إن "مجاهدينا يقاتلون في محاور تقدم العدو ببلدة بيت حانون (شمال) وشمال غرب مدينة غزة (حي الزيتون) وجنوبها (حيي تل الهوى)".

وأضاف أبو عبيدة: "مجاهدونا دمروا 24 آلية عسكرية إسرائيلية خلال اليومين الماضيين".

والأحد، أعلنت "كتائب القسام" أن عناصرها دمروا منذ الصباح 6 دبابات إسرائيلية بقذائف "الياسين 105" وقتلوا عددًا من الجنود

وقالت "القسام"، في سلسلة بيانات عبر منصتها في "تليجرام"، إن مقاتليها دمروا بقذائف "الياسمين 105" دبابة متوغلة شمال غرب مدينة غزة، ودبابتين جنوب غرب في تل الهوا (جنوب مدينة غزة)، و3 دبابات في بيت حانون (شمال قطاع غزة).

وأضافت أن عناصرها "يخوضون اشتباكات مسلحة مع قوات العدو شمال غرب غزة صباح اليوم وليلة أمس ويدمرون دبابة بقذيفة الياسين 105".

من جانبه، أعلن الجيش الإسرائيلي خوضه معارك متواصلة وجهًا لوجه مع مسلحين في شمالي قطاع غزة

الجيش قال في بيان: "تواصل قوات الجيش خوض المعارك وجهًا لوجه وتوجيه الطائرات لتدمير بنى تحتية منها مستودعات لتخزين الوسائل القتالية".

كما "تم توجيه طائرات لضرب مجمّع عسكري تابع لمنظمة حماس والذي يشمل مقرّات القيادة العملياتية، ومواقع الاستطلاع وغيرها من البنى التحتية"، بحسب البيان

وتابع الجيش: "خلال العمليات المشتركة داخل القطاع، تمت مهاجمة ما يزيد عن 2500 هدف حتى الآن منذ بداية العملية البرية".

ومنذ بدء الحرب، قتلت حركة "حماس" ما يزيد عن 1542 إسرائيليًا وأصابت 5431، وفقًا لمصادر إسرائيلية رسمية، كما أسرت ما لا يقل عن 242 إسرائيليًا، بينهم عسكريون برتب رفيعة، ترغب في مبادلتهم بأكثر من 6 آلاف أسير فلسطيني، بينهم أطفال ونساء، في سجون إسرائيل